حكومة بقدر ما هي مسألة التيار الشيوعي واليساري الذي يسعى الى تقويض نظام الحكم عندنا ، ويعمل بشتى الطرق واساليب التخريب للوصول الى هدفه .

ان هؤلاء الذين يتسترون وراء الف ستار وستار لا يريدون ان ينعم هذا الوطن بالازدهار في جوار انظمة اشتراكية متطرفة ، تعاني الشعوب منها الفقر والتعتير .

يجب ان يدخل هؤلاء في حسابهم اننا نرفض كل الوان شعاراتهم المزيفة ، وانظمتهم الهدامة . » (٤٤)

واذن ، فان العلة كامنة في صلب النظام ، الذي يتجاذبه تياران : تيار شيوعي ويساري اي تيار شعبي يحاول ان يعكس رأي الجماهير الكادحة ويحاول التعبير عن مصالحها ، وتيار رجعي فاشي يرتعب خوفا من نهوض حركة هذه الجماهير وتصاعد كفاحها من اجل تلبية مطالبها العادلة . وطالما ان اهل النظام يرفضون تحقيق هذ والمطالب ، ويلجؤون للعنف الرجعي المسلح فانه لامر طبيعي ان تدافع الجماهير عن نفسها دفاعا تنشب معه الحرب الاهلية . اما المقاومة الفلسطينية فانها عامل جديد ساعد على دعم حركة الجماهير الشعبية وحرك ميلها الموضوعي لممارسة العنف الثوري ردا على عنف هذا الشيخ وامثاله من اهل النظام المنهار الذي يحاولون اعادة الحياة اليه بعد ان اصبح رميما .

٥ – ويقول شيخ الكتائبيين ايضا : « ... وفي اعتقادي ان ما يحدث في لبنان يهدف من قبل فئة الى فرض ارادتها على فئة اخرى بالضغط . كلنا نريد القضاء على الطائفية ، ولكننا نريد ان نعرف اي لبنان نريد : لبنان شيوعي او اشتراكي ، ام نتبع طريق ، لبنان مسلم او مسيحي ، فلكل منا طريق . وفي رأينا ان الصيغة اللبنانية الحالية هي التي تحفظ وحدتنا الوطنية وهي الصيغة الناجحة » . (٤٥)

ان هذا الكلام ردده الشيخ الجميل امام اعضاء لجنة الحوار الوطني ، وهي لجنة ضمت كبار رجالات النظام لكي يتحاوروا بغية الوصول الى حل ينقذ نظامهم المتداعي . وعندما طرحت مسالة ضرورة تعديل الدستور ، هدد بيار الجميل بالانسحاب من اللجنة ، وحذرها من مغبة الاصرار على تعديل الدستور ودعاها الى رفض اي اقتراح يتعلق بهذا الموضوع : « بالنسبة لتعديل الدستور نحن في الكتائب ضد البحث في ذلك . واذا كان هناك اصرار على ذلك اسمح لنفسي بعدم حضور الاجتماعات . » (٤٦)

وهنا يطرح سؤال ربما تنفي الاجابة عليه كل الادعاء الذي نحن بصدد دحضه ، وهذا السؤال هو : لماذا هدد الشيخ الجميل بالانسحاب من اللجنة ؟ هل بسبب الحرب التي يشنها الفلسطينيون على اللبنانيين ؟ طبعا ، كلا . لان الحرب قد توقفت . واذن ، فانه يهدد بالانسحاب لكي يمنع « لجنة الحوار الوطني » من ان تتخذ قرارا بالتمني على السلطتين التنفيذية والتشريعية بتعديل الدستور لجهة التخفيف من حدة تمركز الامتيازات وحصرها في فئة معينة من اهل النظام ، اي لكي يتحقق شيء من المساواة التقريبية بين اهل النظام انفسهم ، اي بين فئات الطبقات الرجعية الحاكمة ، ومع ذلك ثارت ثائرة رئيس حزب الكتائب اللبنانية ، فكيف لا نتوقع حدوث حرب اهلية ، طالما كانت الطبقات الحاكمة لا تستطيع ان تفهم الواقع الا من منظار مصالحها الضيقة جدا ، اي مصالحها الفئوية – الطبقية ، وطالما ان اهل النظام انفسهم غير قادرين حتى على معالجة التناقضات **الثانوية فيما** بينهم ، فكيف يستطيعون ان يوجدوا الحلول المناسبة للتناقضات الرئيسية ، وكيف يمكنهم الحؤول دون وقوع حرب اهلية ؟.

تجاوز الجميل في كلامه وتهديداته لدرجة اضطر معها عبد الله اليافي الى مخاطبته بحدة وانفعال :

« انتم (يقصد الكتائب) لا تعملون الشيء الصحيح في لبنان لانكم تعملون لجعل المسيحيين هم الفئة المسيطرة وهذا غير مقبول ، لماذا يجب ان يكون رئيس الجمهورية مسيحي ؟ » (٤٧)

ويتهكم اليافي على اشادة الجميل بصيغة الحكم ووصفه لها بانها صيغة تمثل « تجربة فذة » ... يقول اليافي ساخرا : « التجربة الفذة » خربت البلد وافلست . كل عشر سنوات اقتتال » .

لا ريب في ان اليافي على حق ، ففي عام ١٩٥٨ نشبت حرب اهلية ايضا ، ولم يكن هناك فلسطينيون ثائرون ولا مقاومة فلسطينية ، وقبل ست سنوات يقزل الجميل انهم عقدوا اتفاقية القاهرة لكي يتلافوا وقوع حرب اهلية وهلم جرا . وفي بلد « الديمقراطية » والصيغة التي تمثل « تجربة فذة » لاحظ الشعب اللبناني كيف اهان امين الجميل رئيس الوزراء رشيد الصلح في البرلمان لانه تجرأ على قول الحقيقة وفضح مسؤولية الكتائب عن مجزرة عين الرمانة ورفضها تسليم القتلة المجرمين .

فاذا كانت التناقضات الثانوية بين اهل النظام انفسهم بالغة هذا المستوى من التفاقم ، فكيف لا تؤدي التناقضات الاساسية وخاصة التناقض الرئيسي بين القوى المنتجة وبين علاقات الانتاج الرأسمالية المتخلفة ، الى الحرب الاهلية !

ان ظاهرة اشتداد الخلافات بين فئات الرجعيين الحاكمين مرتبطة بالتناقض الرئيسي ومتأثرة به ، شأنها شأن التناقضات الثانوية الاخرى . ذلك ان وجود التناقض الرئيسي وتطوره هو الذي يقرر او يؤثر في وجود وتطور التناقضات الثانوية في كل مجتمع . ومن يلاحظ التذبذب في مواقف قطاب الرجعية الاسلامية ، ويتذكر كيف ان هذه العناصر تتخذ مواقف متطرفة ضد جبهة الكفور في وقت تكون فيه الحركة الوطنية قوية ، بينما تتراجع هذ العناصر الى مواقف متناقضة في وقت ضعف القوى الوطنية ... من يلاحظ هذه الظاهرة سيدرك مدى تأثير التناقض الرئيسي ومدى فاعلية انعكاسه سواء على التناقض بين جبهة الكفور والرجعية الاسلامية ، او على التناقضات الثانوية الاخرى بين مختلف الفئات الاجتماعية .

٦ – ويقول ايضا : « ان نظامنا الحالي ، ليس دينيا ، ولا شيوعيا ولا رأسماليا ، بل هو قابلية شعب وانعكاس واقع » . (٤٨)

ان السؤال الذي يثيره مثل هذا الكلام ، هو : قابلية على ماذا ؟ ومن اجل ماذا ؟ واي واقع يتمثل امام انظار شيخ الكتائبيين ؟

اهي قابلية على تحمل التخلف والاضطهاد ؟ ام هي قابلية على تحمل اعباء الاستغلال وأوزاره ؟ ام هي قابلية على تحمل تبعات ونتائج الاقتتال « كل عشر سنوات » ؟ واي واقع هذا الذي يرى الجميل انعكاسه ، فان لم يكن النظام اللبناني نظاما رأسماليا ، فلا بد ان يكون نظاما اقطاعيا ؟

واذا كان الامر على مثل هذه الشاكلة ، فان الشعب اللبناني مطالب بتغيير هذا النظام الفريد من نوعه ، والذي لا يمت بصلة لطبيعة عصرنا الراهن ! .

ان هذا الكلام يكشف عن مدى استحواذ الغباء على ادمغة هذا الشيخ الاقطاعي – البورجوازي وامثاله ، فهو من حيث اراد ان ينفي وجود الطبقات والصراع الطبقي في المجتمع اللبناني ، فقد اعترف بما لا يريد الاعتراف به ، فقوله ان نظامهم يمثل « قابلية شعب وانعكاس واقع » هو الاعتراف بأن الشعب اللبناني يعيش حالة انقسامات ، ولكنه متعايش رغم وجود هذه الانقسامات ، اي انه يمتلك « قابلية » على التعايش . ولكن ماذا يعني هذا الكلام ؟ هل يعني عدم وجود طبقات وعدم وجود صراع فيما بينها ؟ ان كان هذا هو ما يقصده شيخ الكتائبيين ، فانه يكشف بقصده هذا عن غباء مفرط ، ذلك ان قابلية التعايش لدى اي شعب مفروضة عليه فرضا بحكم وجود هذه الانقسامات الطبقية والفئوية ، ولولا وجود هذه الانقسامات لما كان الشعب بحاجة لمثل هذه « القابلية » التي يتحدث عنها الشيخ بيار الجميل !

ان التعايش بين طبقات المجتمعات الطبقية ، عملية مفروضة بحكم وجود التمزق الطبقي ، لان وحدة المتضادات المتصارعة هي الرباط الضروري الذي يشد المتناقضين الى بعضهما البعض . وان الشيخ الجميل حين ينفي

وجود نقيض لطبقته ، فانه ينفي وجوده هو ، فلولا وجود العمال والفلاحين ، هل كان بوسع الطغمة المالية الحاكمة التي لا يزيد عددها عن ٤٪ من مجموع المجتمع اللبناني ان تحكم وتتمتع بحياة الرفاهية والبذخ التي تعيشها على حساب حياة الـ ٩٦٪ ؟ .

ان قابلية الشعب اللبناني على التعايش ، مسألة مفروضة عليه بحكم الواقع الطبقي المقيت الذي يعيشه والذي يدفعه الى الاقتتال « كل عشر سنوات » . وان الشعب اللبناني يعي هذه الحقيقة ، وعيا يدفعه باستمرار لحمل السلاح دفاعا عن نفسه وذودا عن قناعته بضرورة اسقاط هذا النظام الرجعي العميل !

ان كلام بيار الجميل ، في وقت استعار نار الحرب الاهلية ، هو اعتراف غبي ببلوغ الصراع الطبقي ذروة احتدامه وقمة تفاقمه ، لان الحرب هي ظاهرة اجتماعية – سياسية تعكس وتجسد تفاقم الصراع الطبقي وجوهر النظام اللبناني الفاسد .

ان الشيخ الجميل وامثاله يجسدون مدى تخلف اهل النظام حين يتنكرون لأكثر المفاهيم وضوحا وشيوعا بين اوساط البورجوازية في المجتمعات الرأسمالية المتقدمة ! فمن شدة تخلفهم يظنون ان الاعتراف بالطبقات والصراع الطبقي ، واشاعة المفاهيم العلمية قد يفتح عيون الشعب ويبلور وعيه . لذلك فانهم يحاولون التعتيم ونشر الضباب لكي يخفوا الحقيقة ، وان اضطروا للاعتراف بها فانهم سرعان ما يعودون الى انكار ما اعترفوا به .

■ **ثانيا – وليم حاوي :**

ليس كل القراء يعرفون من هو وليم حاوي ، لذا ينبغي ان نقدمه الى قرائنا لكي يرد على زعيمه باعتباره شاهد ادانة وتجريم لكل الذين يدعون بأن الحرب اللبنانية هي حرب بين الفلسطينيين واللبنانيين وينكرون طابعها الطبقي . وليم حاوي ، كان المسؤول العسكري لقوات حزب الكتائب كما كان عضو في المكتب السياسي لهذا الحزب قبل ان يسقط في معارك تل الزعتر . وليم حاوي هذا يقول : « **نحن تسلحنا ليس ضد الفدائيين ، انما ضد الفئات** التي من خلال تسترها **بالعمل الفدائي تحاول تخريب لبنان** وتغيير نظامه الذي يتلاءم بنظرنا مع اوضاعنا وتفرض عليه انظمة مستوردة . » (٤٩)

ابعد هذا الاعتراف ، يصح القول بأن اساس الازمة والحرب الاهلية هو الفلسطينيين ووجود المقاومة الفلسطينية ؟

■ **ثالثا – جريدة العمل الكتائبية :**

تقول الجريدة « ان نية كمال جنبلاط وحلفائه الحمر ، لا تحتاج ، بعد الان الى اي امتحان او اختبار للوقوف على حقيقتها . »

وتستطرد العمل قائلة : « اما الخلاص ، فليس بهذا الجدل العقيم حول الاستقالة او عدمها ، بل بالتصدي الشجاع للابتزاز الشيوعي – الجنبلاطي الذي لا يحتاج ، بعد الان ، الى اي دليل او تفسير ، او على الاقل ، بالوضوح نفسه ، والصراحة نفسها التي تتسم بها مواقف الشيوعيين واغراضهم . انهم طلاب حكم كامل ، وطلاب سلطة تكون لهم وحدهم فيمارسونها لاقامة النظام الذي يؤمنون به خيرا للانسان » .

وتتوجه بدعوتها للرجعيين لان يتحدوا ضد الشيوعية التي تريد اسقاط النظام . توجها تقول معه : « ... انهم – اي الشيوعيين – منطقيون مع انفسهم ومع تفكيرهم ومعتقدهم . ويبقى ان يكون الرافضون للشيوعية وتطبيقاتها ، هم ايضا منطقيين مع انفسهم ومع رفضهم » .

واذن ، فان المشكلة ، هي مشكلة لبنانية ، انها مشكلة هذا النظام ، والاخطار التي تهدده من جانب الجماهير الشعبية .

■ **رابعا – بشير الجميل :**

يقول « الامير » المرشح لخلافة ابيه في الزعامة : ان « الجيش السوري ، باعتراف كرامي ، لست انا من ادخله ، بل هي قمة عربون . وانا شخصيا كنت افضل الا يدخل الجيش السوري ولا اي جيش اجنبي . كنت افضل ان يكون الحل بيننا ... كنت افضل ان يكون الاتفاق لبناني – لبناني ، ولبناني – فلسطيني ، طالما ان الفلسطينيين موجودون على ارضنا شئنا ذلك ام ابينا . ولو حصل هذان الاتفاقان على ارضنا لكنا نحن الذين نرسل من يعيد الامن الى اي بلد ينقصه الامن ... وبعدين شو بدو يعمل الجيش ؟ اي جيش يتجرأ على التمركز في الاسواق التجارية ليجبرنا غصبا عنا على وقف القتال ؟ اي جيش سيقف في شارع اللنبي وفوش حين تكون الاطراف المقاتلة مصممة على وضع قناص وراء كل نافذة ، وبحيث لا يستطيع – سوى الله ربما – ان ينتزعه من مكانه . لن يحل ازمتنا سوى ان نتفق ؟ » (٥٠)

ان هذا الكلام لا يحتاج الى تفسير ، انه واضح من حيث تحديده لاصل المشكلة وحلها ، انها ازمة لبنانية وان حلها ينبغي ان يكون لبنانيا .

■ **خامسا – ريمون اده :**

يقول اده في معرض هجومه على سليمان فرنجية : « اذا رد علي سليمان فرنجية – والافضل ان لا يرد – ان البلاد في حالة حرب اهلية وان هناك معارك اخرى ... الخ . » (٥١)

وقد سبق لصحيفة المحرر ان توجهت اليه بالسؤال التالي : « برأيك ما هي الضمانة التي تمنع البلد من الغوص في وحل حرب اهلية قذرة كمثل – الحرب – التي نحن فيها ؟ » (٥٢)

فكان جواب ان « الضمانة في التدابير التي سيتخذها العهد الجديد ... الخ » . ولم يصحح صيغة السؤال الامر الذي جاء تصريحه بعد اسبوع ليؤكد قناعته بأن الحرب اللبنانية **حربا اهلية** .

وقد نشرت مجلة « الحوادث » تحت عنوان « لقطات لبنانية » القول التالي عن لسانه : « وكان رأي العميد اده ان اعادة الامن اذا هدأت الحرب الاهلية يعتبر اكثر الحاحا ومشقة من اعادة بناء الاقتصاد الذي تهدم » . (٥٣)

■ **سادسا – بيار حلو : من كبار رجال الاعمال :**

تحدث النائب بيار حلو عن الاصلاح السياسي الذي يقوم به في حال انتخابه لرئاسة الجمهورية ، حديثا شاملا . وقد اشار الى المصاعب التي ستواجه الرئيس الجديد بقوله : « ... والصعوبة هي في فرضها – اي فرض الاصلاحات – بعد حرب اهلية دامت سنة وارتدت طابعا طائفيا » . (٥٤)

هوامش

(٣٣) جريدة النهار البيروتية العدد ١٤٩٠٢ في ١٩٧٦/٢/٢٧ .
(٣٤) المرجع السابق العدد ١٤٩٤٤ في ١٩٧٦/٩/٢ .
(٣٥) المرجع السابق العدد ١٤٩٤٨ في ١٩٧٦/٩/١٧ .
(٣٦) المرجع السابق العدد ١٤٩٤٩ في ١٩٧٦/٩/٧ .
(٣٧) راجع صحف يوم ١٩٧٦/٨/١٧ .
(٣٨) راجع صحف يوم ١٩٧٦/٨/١٩ .
(٣٩) صحيفة النهار العدد ١٤٩٦٣ في ١٩٧٦/٩/٢٠ .
(٤٠) راجع جريدة بيروت وبقية صحف يوم ١٩٧٦/٥/٢٤ .
(٤١) مجلة الطريق البيروتية الاعداد ١ – ٨ آب ١٩٣٦ ص ١١٤ .
(٤٢) جريدة السفير البيروتية في ١٩٧٦/١/١٥ .
(٤٣) مجلة الطريق البيروتية – المرجع السابق ص ١١٥ .
(٤٤) جريدة العمل البيروتية الناطقة بلسان حزب الكتائب اللبنانية في ١٩٧٥/١١/٢٠ .
(٤٥) مجلة الطريق البيروتية : المرجع السابق ص ١٠٢ .
(٤٦) مجلة الطريق : المرجع السابق ص ١٠٣ .
(٤٧) مجلة الطريق : المرجع السابق ص ١٠٢ .
(٤٨) « جريدة السفير » في ١٩٧٦/٢/٢٠ .
(٤٩) مجلة الطريق : المرجع السابق ص ٦١ .
(٥٠) جريدة المحرر في ١٩٧٦/٥/٢٥ .
(٥١) جريدة المحرر في ١٩٧٦/٢/٢٧ ، والصحف الاخرى .
(٥٢) المصدر السابق في ١٩٧٦/٢/٢٢ .
(٥٣) مجلة الحوادث البيروتية العدد ١٠٢٥ – ١٠٢٦ في ١٩٧٦/٩/١٧ .
(٥٤) جريدة السفير في ١٩٧٦/٤/٢٦ .